ولقد مرضت في سالف أيامي مرضة فلما شفاني الله
تعالى منها تأملت في نفسي ما دبر الله تعالى من هذه
العلة في مقدار هذه المدة ومن عبادة الثقلين
في قدر أيام علتي فقلت لو خيرت بين
هذه وبين هذه العلة في مقدار هذه المدة
وبين أن يكون لي عبادة الثقلين في مقدار
مدتها إلى أيهما أميل اختيارا أفصح عزمي
ودام يقيني ووقعت بصيرتي أن مختار الله عز وجل
أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهي العلة
التي دبرها لي ولا شوب فيه إذا كان فعله فشتان
بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به
فلما رأيت هذا دق في عيني عبادة الثقلين
في مقدار تلك المدة في جنب ما أتاني فصارت
العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة
وصارت المنة أملا وصار الأمل عطفا
فعلمت في نفسي بهذا كانوا يتنزهون في البلاء
على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف

كانوا يفرحون

كانوا يفرحون بالبلاء انتهى فهذه
هي وجهة التعرف التي منحها الله تعالى له وحصلت لديهم
الغبطة بها وآثرها على عبادة
الثقلين والله أعلم فإذا أورد
الله تعالى على العبد شيئا من البلايا
فليستشعر ما ذكرناه وليجعله
نصب عينيه وليجدده تذكارا عن نفسه
حتى يحصل له من السكون والطمأنينة
ما يحمل عنه أثقال ذلك ويزيل عنه مرارته
ويوجب حلاوته وعند ذلك يكون
حاله في بلائه حال الشاكرين من الفرح
والاغتباط فيرى من حق شكره أنه يأتي
بما أمكنه من أعمال بره واعتبار جميع